كلمة الدكتور حسني سبح

سادتي الأفاضل

أرى لزاماً عليّ ان افتتح كلمتي بحمد الله على ما أولاني من نعم ، ثم ان أتبعها شكرَ حضراتكم على تفضلكم علي وانتخابكم اياي عضواً عاملاً في مجمعكم الموقر وفقني الله لأن أكون عند حسن ظنكم .

وبعدُ ، فإن من تقاليد المجمع ان يُلقي العضو العامل الجديد في جلسة استقباله كلمة يترجم بها لسلفه ويسرُد ما قام به من عمل رما أبقاه من أثر ، وسلفي رحمه الله كان ممن تربطني به صلة الصداقة ، ومعرفتي به وان لم تكن قديمة العهد راسخة ، فقد أتيح لي أن رافقته في رحلة مهرجان المعري وقضيت بصحبته الساعات الطوال ، والسفر كما قيل يسفر عن أخلاق الرجال ، فسبرت غور نفسه واطلعت على ما تحلى به رحمه الله من سجايا طيبة وأخلاق رضية ونفس أبية ، في جانب تفكير صحيح وثقافة عالية ، وأدب جم وشعر رقيق ، ناهيك عن وطنية صحيحة وحمية لاهية .

وقد ولد المرحوم الأستاذ أديب التقي سنة ١٣١١ هـ في دمشق من أبوين صالحين ، وكان ولعاً في صغره بحفظ الجيد من شعر العرب وكلامهم مع آيات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذكر الحكيم ، وأتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في دمشق ، وتخرج في علوم البلاغة والنقد الأدبي بالعلامة الجليل السيد محسن الأمين عضو مجمعكم الموقر ، وما ان اكمل تحصيله حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، فأخذ ضابطاً احتياطياً وذهب الى جبهة القفقاس ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى بلده دمشق ، فاشتغل في التعليم ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة ، ولما احتل الفرنسيون دمشق كان مديراً لمدرسة البحصة ، وكان يذكي في نفوس تلاميذه روح العروبة ويبذر بذور الوطنية الحق ، حتى ان صورة للجنرال غورو كانت معلقة في بهو إدارة المدرسة مزقها الطلاب في يوم ذكرى ميسلون فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر عليه ونحي عن العمل ، فعين مديراً للمدرسة العلوية الأهلية في دمشق ، فأحسن إدارتها ونهض بها الى مصاف المدارس الثانوية الراقية .

ولما اندلع لهيب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ غادر دمشق الى شرقي الأردن حيث عهد اليه فى تدريس الأدب العربي في مدرسة الصلت الثانوية ، ورجع الى دمشق بعد خمود الثورة ، وانتسب الى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية ونال الإجازة وعين أستاذاً للأدب العربي في تجهيز الإناث ثم محاضراً في الأدب العربي في مدرسة الآداب العليا ، وانتخب سنة ١٩٤٢ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي ، وبينما كان يعد العدة للذهاب الى القاهرة ليقدم الى جامعتها كتابه الذي وضعه في الشريف الرضي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب ، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥ تغمده الله برحمته .

وقد كان رحمه الله أديباً وشاعراً تقياً ، فصيح اللسان واسع الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ ، عذب الحديث محافظاً على المبادئ والأخلاق الاسلامية والقومية الصحيحة ، ابي النفس ينتصر للحق وفياً لأصدقائه فعالاً للخير .

وانكب على الكتابة والتأليف وقرض الشعر ، فأهدى الى المكتبة العربية بعض الكتب القيمة ، أذكر مما طبع منها التاريخ العام وهو في جزئين وسير التاريخ الاسلامي ومناهج التربية والتعليم ، وسير العظماء ، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية ، ومصطفى كمال باشا في الأناضول ، وغرائب العادات ، والمسيح الهندي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وساهم مع زملائه الأساتيذ الجندي والقواس والسراج بوضع كتاب الطرف في ستة أجزاء ، ونشر عدة مقالات في المجلات العربية المختلفة .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته ، فمنها تاريخ العصر الحاضر ، وتاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين ، والامام علي بن أبي طالب ، وبسمارك بطل الاتحاد الألماني ، والجغرافية الاقتصادية ، وتاريخ الختان ومحسناته ، والجزء الثاني من سير العظماء ، ومائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك ، ومجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية ، وشعر الخيام والسفته ، ورواية الوجيه المتحضر ، ثم مؤلفه في الشريف الرضي ويعد على ما قيل من أفضل ما كتب عنه .

ونظم رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠ هـ ، فضلاً عن القصائد العديدة التي نظمها في جملة مناسبات ، وكلها حماسية تذكي لهيب الوطنية وتدعو الى النهوض واليقظة . وبوب ديوانه المذكور تبويباً ينم على ما يخالج نفسه من مشاعر في شتى النواحي . فاستهل «نبضات قلب» بوداع دمشق نظمها عندما غادر دمشق الى استانبول للانضمام الى الجيش في الحرب العالمية الأولى ومطلعها :

شذاك ام المسك الفتيت يضوعُ له بيننا انى نحل سطوعُ

ومن شعره الرقيق في « سانحة وجد » :

لئن بعدت منازلكم فقلبي لكم من دونها كنف ودارُ
وان ضن السحاب فدمع عيني لكم من دون عارضه قطار
عتبت على الزمان وليت شعري أيرجى منك يا دهر اعتذار
هي الأقدار تمضي في البرايا فليس يقيك من قدر حذار

وقال رحمه الله :

يجري بنا الدهر الى غايةٍ سيان دانى الخطو او شاسعهْ
ان لم يزن حسن الفتى خلقه فما جمال خلقه نافعه
والمسك ما نم عليه الشذا لا ما غلا في مدحه بائعه

وقال في «زفرة» :

الزيت اوشك ان يجف وينطفي نور السراج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اني سأمضي غير معـــروف الدخيلة والعلاج
واظل في هذا الورى أعجيـة بين الأحاجي

وابدع في وصف شيخ تصابى وضل وفجر اذ قال :

جاز الشباب الى شيخوخة ورثت عن الشباب بقايا الاثم والعارِ
ما زال منذ الصبا باللهو منغمساً لم ينهه الشيب في وعظ وأذكار
في حالتيه تراه غير مكترث بغير كأس وطنبور ومزمار
تراه طوراً لدى ماخور مومسة وتارة هو في حانوت خمار

الى ان قال :

يا ويحه كثرت آثامه فمتى تنأى به الدار أو ينأى عن الدارِ

ورثى صديقه المرحوم احمد شاكر الكرمي بمرثية طويلة قال فيها :

يردى بكى وبكت ضفافهْ قل للحمام فما هتافهْ
الموج عبر عن أساه وصوته هذا التهافه
والآس في روضاته مستعبر وكذا خلافه

الى ان قال :

أمهدداً بالموت ان الموت امر لا نخافهْ
درجت عليه كهولنا والنشء تيمه ارتشافه
لا نرتضي عيش الهوان فان أنفسنا تعافه
عيش يعز قويـه وتئن رازحة ضعافه
العدل أظلم أفقـه والظلم لا يخشى اقترافه
والأرض مجزرة القوي ضعافه فيهـا خرافه
والشمل منصدع فهل يرجى مع الخلف ائتلافه

رحمه الله رحمة واسعة وأمد الله في أعماركم زملائيَ الأكارم وادامكم للعلم والفضيلة وللعرب والعربية ذخراً والسلام .

صبحي سمح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net